

الأثر الأسطوري في مرثي أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ)

ديوان سقط الزند - نموذجاً -

مرودة سالم شيت

أ. د. يسرى إسماعيل إبراهيم

جامعة الموصل / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٣/٢/٢٠١٨ ، قبل للنشر في ٢٠/٥/٢٠١٨)

ملخص البحث:

تحاول هذه المقاربة الكشف عن الأثر الأسطوري في مرثي أبي العلاء المعري في ديوانه سقط الزند ، لأننا وجدنا في هذه الظاهرة مادة صالحة للبحث . وقد قامت المقاربة على تمهيد وفقرتين . تناولنا في التمهيد العلاقة الوثيقة بين الأسطورة والشعر ، وفي الفقرة الأولى تحدثنا عن الأساطير الحيوانية في الديوان المذكور ، والثانية كشفنا عن أثر الأساطير الكوكبية سواء أكانت مجسدة بحيوان أرضي أم بأساطير كوكبية خالصة ، علما أننا تحدثنا في الفقرتين عن كيفية توظيف الشاعر للمعطى الأسطوري في منجزه الشعري ، ثم قدمنا ملخصاً تضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

The Mythical Influence in Abi - Alala's Elegies Sakt Azzand as a Case Study

Abstract:

This study aims at shedding light on the mythical Influence in Abi - Alala's Elegies Sakt Azzand. The study consists of an introduction and two sections. The introduction tackles the close relationship between the poetry and myth. The first section is devoted to the influence of animal myths on this diwan. The second section shows the influence of star myths – whether embodied in earthly animal or pure star myths. We studied the way in which the poet employed myths in his poetry.

Through this study it became clear that poetry and myth are twins. Despite the fact that the human conscious was separated from the mythical thought, it was still influenced by it. Abu Alala made full use from these myths whether star myths or animal ones and whether native or universal but his employment of myths differs from one place to another. Sometimes, he enters a dialogue relationship with myths and mixes what is Arabic with what is universal. Other times, the merely narrates the mythical narrative.

المقدمة :

الأسطورة والشعر :

إذا كانت الاسطورة هي الفعلية البشرية التي " فتحت مغالق أسرار الأصول الأولى لمختلف الظواهر"^(١) فإنها ظلت على الرغم من اندثار الإعتقاد بها تمارس تأثيرها في النشاطات الإنسانية حتى " بعد اندثار المعتقد الذي أنشأها"^(٢) متخذة مكانا قارا في اللاوعي الإنساني يماثل المكان الذي أخذته في نفوس منشيئها^(٣) ولعل أبرز حقل نشاطي تظهرت فيه الأسطورة هو المنجز الشعري ؛ لأن القصيدة هي الوليد الشرعي للأسطورة^(٤) كونها في فجر البشرية الأول كانت " محض ترديدات وترانيم بدائية يقصد بها السحر وتخطب المجهول الذي شغل النفس الإنسانية وامتلك مشاعرها"^(٥) . فقد عمد الإنسان البدائي الى صياغة لغة موقعة من أجل حفظ "الأقوال الماثورة عن الطقس ، وحرهم السحرية أو

الدقائق الأكثر صقلا الخاصة بالطقوس بلغة مشددة وهو ميل نجده لدى كل الأجناس وفي كل العصور"^(٦) . إن التعلق وشيخ بين الأسطورة والشعر كونهما — في العصور الأولى — مجالا لحفظ نظم الحياة البشرية "لأن كل ما هو كائن لا يمكن أن يكون إلا في معبد اللغة"^(٧) وعلى الرغم من تجاوز البشرية لمرحلة التفكير الأسطوري وانسلاخ الشعر عن طبيعته الدينية فإن عرى التعلق بين الأسطوري والشعر بقيت متماسكة " يشهد على هذا المخلفات الفنية القديمة كالملاحم البابلية والإغريقية"^(٨) التي تربطها علاقة حوارية مع الأسطورة كون الأسطورة إنموذجا أعلى قابعا في اللاوعي الإنساني، فضلا عن أنها فعالية فنية يتكئ الشاعر عليها في تجسيد همومه الروحية والحياتية بما لها من جاذبية خاصة وقدرة على تهديم حواجز الزمن بأضلاعه الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل ، وبما لها كذلك من أثر في إشاعة الإحساس العميق بأن الشاعر يقف في منتصف الحوار بين . . . ما هو ذاتي وما هو موضوعي وبين ما هو وعي وما هو حلم ، وبين ما هو إنساني وما هو كوني"^(٩) . وهذا ما يفسر سبب إفادة الشعراء الكبيرة من

^١ - من الوعي الاسطوري الى بدايات التفكير الفلسفي النظري في بلاد الرافدين تحديدا ، عبد الباسط سيدي : ٦١ .

^٢ - الرمز والاسطورة والشعائر في المجتمعات البدائية ، كمال صفوت ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج، ٩، ٤٤، ١٩٧٩ : ٨٤ .

^٣ - علاقة الفكر بالأسطورة قراءة في المكونات الأولى والاصول ، د. كمال بلحاج، الموقف الأدبي، دمشق، ع ٣٩، ٢٠٠٤ : ٣ .

^٤ - الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية ، فراس السواح : ٢٢ .

^٥ - مواقف في النقد والأدب ، د. عبد الجبار المطلبي : ١٠٧ .

^٦ - الوهم والواقع - دراسة في منابع الشعر ، كرسنوفر كودويل : ١٠ .

^٧ - موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي : ٣ .

^٨ - علاقة الفكر بالأسطورة قراءة في المكونات الأولى والاصول ، كامل بلحاج، الموقف الأدبي، دمشق، (٣٩) ، ٢٠٠٤ : ٣ .

^٩ - طبيعة الشعر ومفهومه بين النظرية والتطبيق، محمد أحمد العزب : ١٠ .

على الأنا^(١٤) ومن هنا فإن الذات الشاعرة عندما تبكي الآخر إنما تبكي نفسها بل تبكي الوجود الحي بكافة أجناسه مانحة إحساسها بعدا كونيا وهذا لا يعني أن الشعر عامة والمراثي بشكل خاص تخلصت من الأثر الأسطوري فقاريء المراثي القديمة يجدها تزخر بملامح أسطورية سواء عن طريق سردها لحدث أسطوري دون أي انزياح أو عن طريق امتصاص للأسطورة إمتصاصا لم يبق منها سوى ملامح باهتة .

المراثي العلائية والأسطورة:

إن الباحث في مراثي أبي العلاء يجد أنه تأثر لا واعيا بأساطير حيوانية أو كوكبية ، وقد منح الحضور الأسطوري للمراثية العلائية بعدا دلاليا أضفت على رؤيته مصداقية لا يطالها الشك وإن جاءت الأسطورة عن طريق التشبيه أحيانا ، وأحيانا أخرى تعامل الشاعر معها تعاملًا يوحي بأنها حدث واقعي . وستناول أشكال الحضور الأسطوري وتأثره في مراثي الشاعر مبتدئين بالأساطير الحيوانية .

أ- الأساطير الحيوانية:

المعطى الأسطوري في كافة العصور سواء أكان ذلك عن وعي منهم أو دون وعي .

المراثي والأسطورة :

تشير الأدبيات التي تحدثت عن نشأة الشعر الى أن هذا الفن إبتدع من أجل غايات دينية إذ إن الإنسان البدائي كان يتفوه بلغة مشددة أثناء ممارسته طقوسا دينية^(١٠) تصاحب هذه اللغة حركات توافق مع إيقاع تلك الأصوات ، وكانت تلك الطقوس تقام عند موت الإله تموز إله الخصب^(١١) . وبعد تطور الوعي البشري استبدل الإنسان الأصوات المشددة التي تقتصر إلى الدلالة بألفاظ ذات بعد دلالي تجسد الحزن والوعدة التي عانتها الألهة العذراء بعد أن غيب حبيبها تموز في لفاف العالم السفلي .

وبعد مرحلة من التطور الوعي خرج الشعر من أحضان الدين إذ " أصبح الشعب واعيا لذاته أديبا "^(١٢)

وأدرك أن الزمن يسير مسارا خطيا لا يعود إلى النقطة التي بدأ منها^(١٣) فبدأ الإنسان يشكو من زمانية وجوده لاسيما عند موت الآخر فصحيح أن موت الآخر موضوع خارجي إلا إنه قابل للانسحاب

^{١٠} - الوهم والواقع دراسة في منابع الشعر ، كرستوفر كولدويل : ١٨ .

^{١١} - . https:// ar.m.wikipedia.org .

^{١٢} - الوهم والواقع ، دراسة في منابع الشعر : ١٨ .

^{١٣} - الموت في الفكر الغربي ، جاك شورون : ٢٩ .

^{١٤} - مقالات في الشعر الجاهلي ، يوسف اليوسف : ٣٣١ .

أ. د. يسرى إسماعيل إبراهيم و مروة سالم شيت الأثر الأسطوري في مراثي . . .

رمز للحزن والوفاء الأبديين وقد أفاد المعري من المعطى الأسطورتين
في رثائه لأبي حمزة إذ يقول: ^(١٧)

لما كان الإنسان يمتاز - دون الكائنات الأخرى- بقدرته
على الانفتاح على الوجود المحيط به وإقامته علاقة مع أشيائه، فقد
انفتح الإنسان على الحيوان، فالإنسان بفضل وعيه استطاع أن
يستبعد ما هو ضار من الجنس الحيواني ، ويدجن ما هو نافع
خالعا على بعض الحيوانات هالة أسطورية . ولم يكن أبو العلاء
شدوذا في قاعدة فقد تأثر بالمعطيات الأسطورية التي صاغها الفكر
البشري حول الحيوانات ولا سيما طائر الحمام الذي أسطره الفكر
القديم، فقد جاء في قصة الطوفان أن نوحا عليه السلام أرسل
حمامة لتكشف عما إذا كانت هناك أرض لم يغمرها الطوفان
فرجعت إليه حاملة غصن الزيتون كعلامة على وجود مناطق لم
يحتاجها الطوفان. فأصبحت الحمامة رمزا للسلام بعد أن طوقها نوح
تكريما لها^(١٥). ومع هذا فان الثقافة العربية إبتدعت اسطورة
استقتها من صوت الطائر الذي يبعث الحزن والشجن وهذه
الاسطورة تقول ان صوت الحمام (الهديل) فعالية بكائية ، فالحمام
يبكي فرحاً له اقتنصه نسر في عصر نوح عليه السلام^(١٦) فتحول
الحمام الى رمز الوفاء وحفظ ذكر الهالكين فما من حمامة إلا تبكي
هديلا، فقد حولت الاسطورة العربية ذات الطابع التعليلي الحمام الى

^{١٥} - البداية والنهاية، ابن كثير : ١/١٦٦.

^{١٦} - الاصمعيات، عبدالملك بن قريب الاصمعي : ٨٠ .

^{١٧} - سقط الزند: ٨-٩ .

أبنات الهديل أسعدنَّ أو عدن
إيه لله دركنَّ فأتنَّ الـ
ما نسيئنُ هالكا في الأوان الـ
ببد أني لا أرضى ما فعلتـ
فستلنَّ واستعرنَّ جميعا
قليل العزاء بالاسعادِ
لواتي يحسنَّ حفظ الودادِ
خال أودى من قبل هلك إيادِ
نَّ وأطواقنَّ في الأجيادِ
من قميص الدجى ثياب جدادِ

على موقفه الوفي وديمومته للحس المساوي الذي تولد جراء فقدته للمهديل ، ولا يكنفي الشاعر بالإفادة من الأسطورة العربية وإنما إتكا على الأسطورة العالمية ليمزج بين الأسطورتين مطالباً الحمام بنزع طوق الحلية والتكريم ليؤكد حزنه على المستويين الخارجي والداخلي . فليس من شك على وفق منظور أبي العلاء أن الحمام يعاني ألم الشكل والفقْد إلا إن إرتدائه للطوق يخالف هذه الحقيقة لذا جاءت الدعوة بنزع الطوق ليشمل الحزن بعدي الطائر الداخلي والخارجي ليظهر للكائنات الحية وبشكل خاص مأساوية الوجود الإنساني الذي يعي أنه كائن معد من أجل الموت ، بل يوجب الشاعر على الحمام — أمام شرط الزمانية المقيت وحمية الفناء — ان يعلن حدادهنَّ داخليا وخارجياتجلى رؤية الشاعر هذه من خلال استخدامه (تسلنن) فعلى الرغم أن من بين معاني هذا الفعل معجميا هو (لبس السواد) إلا إنه توحى بالاستلاب وعدم القدرة على مواجهة المصير المحتوم ، وتقلبات الدهر . وإذا كان الوعي

ولا شك أن أبا العلاء يعلم أن الهديل هو صوت الحمام ولكنه لجأ الى الأسطورة؛ لأنه وجد فيها وعاء يجسد ما يعتمر في قلبه من مشاعر مفعمة بالحزن والسوداوية ، وفتح دائرة خطابه مع الحمام عبر أسلوب ندائي يستخدم للمنادى القريب ، وهذا الأسلوب يوحي بقرب هذا الطائر من نفسه فقد وجد في الطائر ما يماثله في الحزن بعد أن فقد المؤاس في العالم الإنساني المناسب لحتمية الموت كونه منشغلا بنشاطاته الفيزيائية ومساراته الحشرية . والملاحظ أن الشاعر جعل الحمام يعانين مرارة اليتيم ذلك عبر استخدامه لعلاقة التضاييف (بنات الهديل) بين الحمام (بنات) وفقيدهنَّ (الهديل) وعلى الرغم من أن الشاعر ينطلق من رؤية يقينية تؤكد عبثية فعل البكاء (قليل العزاء) ؛ إلا إنه يشيد بالطائر عبر صيغة تعجبية (لله دركنن) التي تفيد المدح حسبما تواضع عليه النحاة الى جانب حضور الجملة الأسمية (أتتالواتي يحسنن) التي تتمتع بإيحاء ثبوتي أكثر من الجملة الفعلية . وهذا الثبوت التركيبي يحاكي ثبات الحمام

أ. د. يسرى إسماعيل إبراهيم و مروة سالم شيت الأثر الأسطوري في مراثي . . .

بجتمية الموت و شرط التغيير والصيرورة لا يختلف حولهما إثنان؛

فإن هذا الوعي تفجر عند الشاعر جراء صدمة حادثة فقدته

لصديقه . فالوعي المأساوي يتفجر عند الأحداث الصادمة^(١٨) .

وتحضر أساطير الحمام في رثاء الشاعر لأمه إذ يقول^(١٩):

^{١٨}- كامو والتمرد : روبرت دولوبير : ١٠ .

^{١٩}- سقط الزند: ٤٠ .

ألا يثبتي قينات بث
وحماء العلاط يضيق فوها
تداعى مصعدا في الجيد وجدا
أشاعت قيلها ، وحكت أخاما
شجتك بظاهر كقرض ليلي

بشمن غضى فملن الى بشام
بما في الصدر من صفة الغرام
فقال الطوق منها بانفصام
فأصخت، وهي خنساء الحمام
وباطنه عويصُ أبي حزام

فإنهنَّ مستمرات في نواح لا يقبل الانقطاع والانتها . علما أن مستوى الإحساس بالشجو والألم غير متساوٍ عند الحمام فهناك حمامة يضطرم في صدرها الألم الشكل والفقد حتى أن فاها غير قادرٍ على بث هذه الأحزان وقد ظلت تصدح بمصابها حتى تتبل طوقها . فأبو العلاء في حديثه هذا يقدم تفسيراً جديداً ذا طابع تليفي من خلال ذهابه إلى أن انفصام طوق الحمام يعود إلى شكوى هذه الطيور بمليء فيها حداً قطعاً أطوقهن، فطوق الحمام كما هو في الواقع غير متصل ، وجاء تليل أبي العلاء هذا تجسيدا لما يحسه من حزن وألم فأسقط إحساسه على الطير من جانب وانحرف عن المعطى الأسطوري من جانب آخر .

وعلى أية حال فإنَّ الشاعر يمضي في توصيفه لتلك الحمامة مداخلا بينها وبين شخصية إنسانية يضرب المثل (الخنساء) بكثرة بكائها على أخويها والحمامة بممارستها البكائية تثير شجن الآخرين لما يحمله صوتها من نغمت حزينة . ويتداخل العالم الإنساني

فبإسلوب طليبي يريد الشاعر من (قينات بث) أن تنبهه، ولكن ينبهه على أي شيء أنهنَّ ينبهه على الوجود المأساوي الذي يعيش في ظله الكائن الحي ؛ إذ يبدو أن الشاعر كان غافلا عن حتمية الموت وشرط الفناء القاسي جراء انهماكته بنشاطاته الحيوية لذا فهو يعرض على الحمام أن ينبهه ويكبح جماح غفلته فالقينات ليست قينات فرح وسرور ، وإنما هنَّ قينات ترح ومآسي يفصح عن هذا الجانب علاقة التضايف بين القينات والبث ؛ ولهذا فالشاعر يحرق الثقافة العربية التي تواضعت على أن القينات واستدعاهنَّ يوحي بأن الفضاء الذي يلفهنَّ مع الداعين فضاء إحتقالي، ولكن علاقة التضايف كسرت التواضعات إذ جعلت للمآسي والاتراح قينات كما لأجواء الفرح والسرور قينات . والملاحظ أن القينات العلائية لم يفصحن عن شجوهن جراء ضغط حاجات غريزية ، أو ضغوط بيئية طبيعية ، أو إجتماعية كونهنَّ يعشنَّ في فضاء مكاني يفيض خصوبة وحيوية، ومن هذا

أ. د. يسرى إسماعيل إبراهيم و مروة سالم شيت الأثر الأسطوري في مراثي . . .

قدسية وصلت حد العبادة . ولم يكن العرب شذوذا في قاعدة إذ
يتخذ العرب القمر إلها وجعلوا له تجسيدا أرضيا تمثل بالثور
الوحشي^(٢١) مثلما جعلوا الغزاة تجسيدا أرضيا للإله
الشمس^(٢٢) وخلعوا عليها هالة قدسية ولذا فإن الباحث في التراث
الشعري قبل الإسلام لا يجد إشارة نصية تتحدث عن قنص الإنسان
الجاهلي لغزاة أو حتى محاولة صيدها على عكس من
النص الشعري الإسلامي^(٢٣)، ومع أن الأساطير المتحدث عنها ظلت
تمارس تأثيرها في اللاوعي الإنساني ولا سيما في المنجز الشعري
كما أسلفنا ، وقارئ المراثي العالمة يلمح أثر هذه الأساطير وغيرها
في نصه الشعري ، إذ تحضر أسطورة بنات نعش في قول أبي العلاء
راثيا إبراهيم التوخي إذ يقول:^(٢٤)

والحيواني مرة أخرى عن طريق التشبيه وتحضر معه الثنائيات
الضدية على المستوى الجنسي الأثني / ليلي ، والذكر / أبو حزام
وعلى مستوى الوضوح ظاهر / باطن . ولقد أشار الشارح الى هذه
التضادات بقوله : " أراد بليلي ليلي الأخيلىة الشاعرة وشعرها
سلس رقيق وأبو حزام العكلي وكان شعره عويصا)"^(٢٥) ولا
شك أن هذا التفسير تفسير سطحي لا يروي غليلا ، فصحيح أن
ليلى شاعرة رقيقة ولا سيما في مراثيها لحبيبتها توبة ، وأبو حزام
شاعر لا يكاد يفهم شعره لعمق رؤيته ولكثرة إيراد الغريب وتعقيد
تركيبه؛ ولكن ما الداعي لحضور هذا التضاد في النص الشعري
أكان حليلة فنية ؟ ! وهذا ما نستبعده وأغلب الظن أن الشاعر
يرى أن نوح الحمام يبدو في ظاهره فعالية بكائية جراء ألم الفقد
والحقيقة الباطنة له أن الحمام يبيكين مصير الكائن الحي بنبرة
إحتجاجية على تسلط القدر الذي يتلاعب بمقدورات الكائن الحي
وسوقه إلى مصيره المحتوم .

ب- الأساطير الكوكبية :

لقد إنشغل الفكر الإنساني منذ فجر البشرية الأول بالكواكب إذ
أدرك الإنسان البدائي ما للكواكب من تأثيرات على وجه الأرض
ولا سيما على الزراعة لذا خلع على بعض النجوم والكواكب هالة

^{٢١} - الصورة الفنية في الشعر الجاهلي حتى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة

في أصولها وتطوراتها، د. علي النبط : ١٣٠ - ١٣١ .

^{٢٢} - الأسطوري في الجاهلية المعيش التاريخي والمرموز الشعري، قصي

الحسين ، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت ، العدد : ٣٨ ، ١٩٨٥ ، ١٣١

^{٢٣} - مفاتيح القصيدة الجاهلية، د. عبد الله الفيقي : ٥٤ .

^{٢٤} - سقط الزند: ١٩ .

^{٢٥} - سقط الزند، ه/ ٥٠ : ٤٠ .

مقرُّ الثريا فادفونوه على علم
سماوي سرِّ فاتقوا كوكب الرجم
أباً لبناتٍ لا يخفن من اليتيم

الدب الأصغر يمنع البنات من التقدم نحو القاتل النجم القطبي^(٢٦) .
ولا شك أن العقلية البدائية إبتدعت هذه الأسطورة بأثر علاقة التشابه بين النعش وتابعه على أرض الواقع والمجموعة الكوكبية المذكورة ، ولكن هل أقام المعري مشابهته على أساس شكلي كون هناك تماثلاً بين التشكيل الكوكبي وحملة النعش أم هناك علاقة أخرى سكت عنها النص ؟ . إن المرجح لدينا أن أبا العلاء يدعو حاملي النعش إلى عدم إنزاله أرضاً بل يبقى على الأكفاف أبد الدهر لأن المرثي ذو مكانة قدسية هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الحياة على وفق منظور المعري لم تعد مجدية بعد الفقيد يظهر هذا من خلال توصيف البنات بعدم خوفهن من أي شيء حتى اليتيم (لا يخفن من اليتيم) ولرب سائل يسأل كيف لا يخفن من اليتيم مع أن الأسطورة تصرح بأن الأب قد قتل . والإجابة على هذا السؤال تنطوي شقين أولهما : إن القتل إله أو نصف إله ، وأن قتله لا يعني تناهيه مطلقاً هذا على وفق منظور الفكر القديم ، أما الشق الثاني : فإن البنات لسن بنات قاصرات الطرف ضعيفات

فيا دفينه في الثرى إنَّ لحده
ويا حاملي أعواده إن فوقها
ما نعشه إلا كنعشٍ وجدته

فقد تمازج الأسطوري والديني في الأبيات المتقدمة ، فالمرثي يتمتع بسرِّ سماوي حجب عن دافنيه ولا يمكن الإطلاع على هذا السر وكشف كنهه ؛ لأنه محميُّ بقدرات إلهية تحرق كل من يحاول الوصول الى السر . يتضح هذا من خلال تناص الشاعر مع الآيتين " وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِلْتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا، وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا" (٢٥) هذا ما يراه الشاعر، وسرعان ما يمزج بين ما هو ديني وما هو أسطوري من خلال تشبيه نعش مرثيه بالنعش الذي تحمله بنات نعش كما أشار الشارح^(٢٦) وإذا كان الشارح قد قدم جهداً تفسيرياً ولم يشر الى البعد الأسطوري فإن الباحث يجد أن الفكر القديم نسج أسطورة حول ما يسمى (بنات نعش) الكوكبية إذ تقول الأسطورة أن النجم القطبي وهو في نهاية ذيل الدب الأصغر قتل والد البنات الثلاثة وأن البنات يسرن وراء النعش والمجموعة تسير نحو القاتل للأخذ بثأر الأب؛ ولكن نجم

^{٢٦} . http://www.bakhd.da.net/nisreem/asateer .

^{٢٥} - سورة الجن : آية ٨-٩ .

أ. د. يسرى إسماعيل إبراهيم و مروة سالم شيت الأثر الأسطوري في مراثي . . .

إلا أن أبا العلاء تعامل مع الأسطورة دون تقييد لمحتواها وإن لم يقر بمبادئها نلمح هذا من خلال حضور الفعل المبني للمجهول (قيل) فالزعم بقدره هذه الألهة مجهول مما يبعث على الشك في مزاعمه فضلا عن أن أبا العلاء لم يشاهد فعل هذه الألهة ومع هذا فإنَّ الشاعر لم ينحرف عن المعطى الأسطوري فالألهة — كما قيل (السبعة الشهب) — ذات قدرة كونية وتنفيذها لمشيئتها شمولية لا تحدها عوامل عرفية أو بيئية فهي منفذة الأقدار في العرب والعجم — كما زعم الشاعر — والحقيقة أن الشاعر إجتز الأسطورة المذكورة إجتزارا فلم يعدل أو ينحرف عن فحواها انحرافا يعطي لمنجزه الشعري ثراء دلاليا ويمنح الأسطورة روحا تجعلها متآينة مع الحاضر ، وإنما عمد الى المبالغة والتحويل فحادثة الفقد لم تبك العالم الإنساني حسب بل أبكت الجمادات التي تمت لو أنها فدت المرثي بنفسها (٢٧):

نعيناه حتى للغزاة والسهى فكل تمنى له فذاه من الختم
وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها في وجهه أثر اللدم

إن عنصر المبالغة واضح في الأبيات المقدمة ، وصحيح أن أنسنة الجماد ظاهرة شائعة في النص الشعري القديم إلا أن بكاء النجوم

غير قدرات على الفعل كما هي البنات في عصر أبي العلاء كما هو متواضع عليه في الثقافة العربية . إنهن قتيات عليويات قدرات على الجابهة ولا يعرفن الاستسلام يشهد على هذا عدم بأسهن من إدراك الثأر على الرغم من العوائق القائمة بينهن وبين قاتل أبهن . ويستمر المعري في تناصه لا وعيا مع المعطيات الأسطورية من خلال توصيفه لأبناء المرثي بالسبعة الشهب ، إذ يقول (٢٧):

أبي السبعة الشهب التي قيل إنها منقذة الأقدار في العرب والعجم
فبالأسطورة نقول أن لكل سماء من السموات السبعة ألهة تحميها
فالسموات السبع لهن ألهتن السبع التي تماثل أشكالهن أشكال
الشهب وهذه الألهة الى جانب حمايتها للسموات فهي تتحكم بمصير
أهل الأرض ومقدوراتهم وهذا الألهة السبع هم أبناء لكبير الألهة (٢٨)
ومع أن أغلب الأساطير المذكورة تتعارض مع المنطلقات الإسلامية
بل أن أغلب المسلمين سيفهون ما جاءت به الأسطورة ، كما في قول
أبي تمام (٢٩) :

والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

٢٧- سقط الزند : ٢١ .

٢٨- vb.almahdyoon.org/showthread.php?t=30907

٢٩- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٨٥ .

٣٠- سقط الزند : ٢١ - ٢٢ .

والكواكب على مخلوق بشري نمط تهويلي لا تقره الثقافة الإسلامية . وأبو العلاء لم يكف بهذا بل زعم أن ما يبدو من ندبات على صفحة القمر (كلف) استحدثت جراء لطم القمر على الفقيد . وعلى أية حال فإن الأثر الأسطوري حاضر في الأبيات المقدمة . فالغزاة (الشمس) كما أسلفنا اتخذها العرب القدماء آلهة لهم عبدوها وقدموا لها الطاعة والخضوع . والمرثي— كما صوره أبو العلاء — أعلى رتبة من آلهة الشمس ؛ لذا بكت وتمنت لو أنها إقنته بنفسها من القدر المحتوم .

أ. د. يسرى إسماعيل إبراهيم و مروة سالم شيت الأثر الأسطوري في مراثي . . .

الخاتمة :

عالمية إلا أن توظيفه للمعطى الأسطوري تباين من موضع الى آخر
فتارة يدخل في علاقة حوارية مع المعطيات الأسطورية ويمزج ما هو
عربي بما هو عالمي وتارة أخرى لا تعدو إفادته من الأسطورة سوى
أن تكون سردا للحدث الاسطوري .

تبين من خلال مقاربتنا أن الأسطورة والشعر توءمان فعلى الرغم من
انسلاخ الوعي البشري من الفكر الأسطوري فقد ظل المنجز
الشعري متأثراً بذلك الفكر. وقد أفاد أبو العلاء من المعطيات
الأسطورية سواء أكانت كوكبية أم حيوانية وسواء أكانت محلية أم

ثبت المصدر والمراجع

- سقط الزند ، أبو العلاء المعري ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٧ م .

- الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها ، د . علي البطل ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط (١) ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

- طبيعة الشعر ومفهومه بين النظرية والتطبيق ، د . محمد أحمد العزب ، منشورات أوراق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٥ م .

- علاقة الفكر بالأسطورة قراءة في المكونات الأولى والأصول ، د . كمال بلحاج ، الموقف الأدبي ، العدد (٣٩) ، دمشق ، ٢٠٠٤ .

- كامو والتمرد ، روبرت دولوبيه ، نقله الى العربية سهيل إدريس ، منشورات دار الآداب ، ط (٢) ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

- مفاتيح القصيدة الجاهلية نحو رؤية نقدية جديدة عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا ، د . عبدالله الفيضي ، ط . ١ ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ٢٠١١ م .

- الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية ، فراس السواح ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، (د . ت) .

- الأسطوري في الجاهلية المعيش التاريخي والمرموز الشعري ، قصي الحسين ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد (٣٨) ، (بيروت) ، ١٩٨٥ م .

- الأصمعيات ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، تح: أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، ط (٢) ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤ م .

- البداية والنهاية ، ابن كثير الدمشقي (ت ٤٧٤) ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

- ديوان أبي تمام الطائي ، بشرح الخطيب التبريزي ، تح: محمد عبدة عزام ، دار المعارف ، ط (٥) ، مصر ، ١٩٥١ م .

- الرمز والأسطورة والشعائر في المجتمعات البدائية ، صفوت كمال ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج ٩ ، العدد ٤ ،

١٩٧٩م

أ. د. يسرى إسماعيل إبراهيم و مروة سالم شيت الأثر الأسطوري في مراثي . . .

- مقالات في الشعر الجاهلي ، يوسف اليوسف ، ط (٢)
، دار الحقائق ، الجزائر ، ١٩٨٠ م .
 - من الوعي الأسطوري الى بدايات التفكير الفلسفي
النظري في بلاد الرافدين تحديدا، عبد الباسط سيدي ، دار
الحصاد للنشر والتوزيع، ط (١) ، دمشق، ١٩٩٥ .
 - مواقف في النقد والأدب ، عبد الجبار المطليبي ، دار الحرية
للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ م .
 - الموت في الفكر الغربي ، جاك شورون ، ترجمة :كمال
يوسف حسين ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٤ م .
 - موسوعة الفلسفة ، د. عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة
للدراستات والنشر ، ط (١) ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- المصادر الرقمية
- [https:// ar.m.wikipedia.org](https://ar.m.wikipedia.org) .
- <http://www.bakhd.da.net/nisreem/asateer> .
- vb.almahdyoon.org/showthread.php?t=30907.